

دور المدرسة الجزائرية في التصدي لظاهرة العولمة

The role of the Algerian school in addressing the phenomenon of globalization

بوبكر مريقي^{1*}

¹ جامعة عمار ثليجي الاغواط (الجزائر) boubmer@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2020/06/08؛ تاريخ القبول: 2020/10/16؛ تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص المداخلة: تهدف هذه الورقة إلى عرض دور المدرسة الجزائرية في مواجهة آثار العولمة في العصر الذي ساد فيه التقدم التكنولوجي و الانفجار المعرفي و الانفتاح الثقافي و المتغيرات السريعة في العديد من المجالات المادية و التقنية و الاقتصادية، و هذا ما يستوجب من المؤسسات التربوية متابعة هذا التطور و دراسة أثره على السلوك و القيم و المنظومة المعرفية و الثقافية، و يتسم بالتزايد الهائل في كم المعلومات و المعارف و تعدد مصادر التعلم المختلفة و انفتاح الثقافات و انتقالها من دولة إلى أخرى.

الكلمات المفتاحية: العولمة، المدرسة الجزائرية، المجتمع الإسلامي.

Abstract: This paper aims to present the role of the Algerian school in facing the effects of globalization in the era in which technological progress, knowledge explosion, cultural openness and rapid changes prevailed in many material, technical and economic fields, and this is what requires educational institutions to follow this development and study Its impact on behavior, values, and the knowledge and cultural system is characterized by the tremendous increase in the amount of information and knowledge, the multiplicity of different sources of learning, the openness of cultures and their transfer from one country to another.

Keywords: Globalization, the Algerian school, the Islamic community.

● مقدمة:

تواجه المدرسة الجزائرية اليوم و أكثر من أي وقت مضى الكثير من التحديات و العقبات التي تحاول أن تدفع بها بعيدا عن أداء دورها في العطاء التربوي التعليمي و الثقافي، و تحول دون تحقيق رسالتها الخالدة و مشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية و الإسلامية و العربية، و تزداد هذه التحديات في ظل الهيمنة العولمة تحكمت في جميع مناحي الحياة في مختلف الدول و الأمم.

و يبدو أن التحديات التي تواجه المدرسة الجزائرية راجعة إلى نوعين من التحديات؛ خارجية و داخلية، فالخارجية ما يتمثل في الضغوط و التدخلات الخارجية التي تحاول طمس الهوية العربية الإسلامية و تذويها و تشويه الشخصية الوطنية، أو التدخل السافر في صياغة أهداف و مناهج إعداد هذه الشخصية بحذف الكثير من النصوص من القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو السيرة للزج بها بعيدا عن مسارها الصحيح،

* المؤلف المرسل.

و منها ما يتمثل بالتحديات الداخلية التي تتعلق بالعملية التعليمية نفسها لمواجهة تداعيات العولمة وانعكاساتها، مثل جودة التعليم الذي تقدمه المدرسة و المعلم القدوة الذي لا تقوم المدرسة الفاعلة إلا به، و منها غياب دور المجتمع المساند للمدرسة أو عزوف الطلاب عن التعليم أو انعدام الدافعية بالإضافة إلى التسرب، و منها ما يتعلق بنوعية التعليم.

ولذلك فإن مشكلة الدراسة تتبلور بالسؤال الرئيس التالي:

ما تحديات العولمة التربوية و ما سبل مواجهتها؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1- فيما تتمثل مخاطر ظاهرة العولمة على المدرسة الجزائرية ؟

2- ما هي آليات مواجهة المدرسة لخطر العولمة ؟

أولا: تحديد المفاهيم:

01 - مفهوم المدرسة:

المدرسة هي تنظيم اجتماعي له أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، و هذا التنظيم هو الذي يحدد العلاقات القائمة بين الأفراد المنتمين إليه لتحقيق أهدافه، فالمدرسة على هذا الاعتبار لها كيانها الاجتماعي المقصود، خلافا لغيرها من المؤسسات فهي تتضمن واجبات و حقوقا للأفراد داخل الإطار العام للمجتمع، و في إطار العملية التربوية القصدية، كما أنها تنظم سلوك الأفراد داخلها و علاقتهم بغيرها من المؤسسات¹.

يرجع لفظ المدرسة ECOLE إلى الأصل اليوناني SCHOLE و الذي يقصد به وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع زملائهم أو لتثقيف الذهن، وتطور هذا اللفظ بعد ذلك ليشير إلى التكوين الذي يعطي في شكل جماعي مؤسسي، أو إلى المكان الذي يتم فيه التعليم، ليصبح لفظ المدرسة يفيد حاليا تلك المؤسسة الاجتماعية التي توكل إليها مهمة التربية الحسية و الفكرية و الأخلاقية للأطفال و المراهقين في شكل يطابق متطلبات المكان و الزمان، و المدرسة من الألفاظ المولودة عند العرب، و هي " في الأصل مأخوذة من العبرانية أو الآرامية، مدراس و جمعها مدارس، ثم خففت فأصبحت مدارس، و واضح أن المدارس وصف ينسب لكل ما يدرس فيه من الأمكنة كالمساجد و الكتاتيب و الزوايا و من ذلك جاءت تسمية المدارس القرآنية و غيرها من دور العلم و المعرفة².

و يعتقد الكثير أن التعليم الديني كان السباق في الظهور، فمنذ أكثر من أربعة آلاف سنة ظهر التعليم الديني في شكل مدارس خاصة لبعض الفئات، و أصبح هذا التعليم متاحا لأبناء رجال الدين و تابعيهم، و يمكننا القول أن التعليم في هذه العصور كان على شكلين رئيسيين: الأول التعليم بالخبرة و التقليد و هو المتاح لعامة الناس و لا يقوم على تنظيم معين أو تخطيط مسبق، و الدافع له الحاجة الأسرية، و الثاني تعليم الصفوة و هم ورثة رجال الدين و أبناء الحكام و يسمى تعليم الخاصة، و يستهدف إعداد بعض الأفراد لمسؤوليات متعددة لمقابلة بعض الاحتياجات في الدين و السلطة³، و تعود بدايات ظهور المدرسة كمؤسسة مستقلة إلى الصينيين الذين كانوا أول من فكر في إنشاء مدارس و من بعدهم اليونانيين، و بديهي أن هذه المدارس كانت خاصة بالطبقة الارستقراطية⁴.

أما عن المدرسة في العصر الحديث فيقول جون ديوي في هذا الشأن " لقد أصبحت العلوم و الفنون حرة مباحة للجميع، و أصبحت أبسط الطرق لمعرفتها و مزاولتها من اليسر بحيث لم تعد محتكرة أو ملكا خاصا لطائفة من الطوائف أو طبقة من الطبقات فهي نظريا ملك مشاع" و قد تطورت المدارس تباعا في أشكالها و تبعيتها و حتى بعض أهدافها، و في زماننا صارت المدرسة الخاصة استثمارا

اقتصاديا، و أما المدارس العامة و هي التي تتولى الدولة الإنفاق عليها فإنها تتبع الدولة في أمورها كلها، و في زماننا تتعدد أشكال المدارس العامة تعددا مذهلا⁵.

02 – مفهوم العولمة:

العولمة ظاهرة كونية برزت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين و قد اختلف الكثير في هذه الظاهرة، كما زاد الجدل في تعريفها فهي تعني "GLOBALIZATION بالإنجليزية، و هي مشتقة من كلمة "GLOBE" أي تعني الكرة و المقصود بها الكرة الأرضية. و العولمة كفعل مشتقة من "عولم" يعولم". و تعددت التعاريف لمفهوم العولمة، فقد عرف رونالد روبرتسون العولمة بأنها " اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم و زيادة وعي الأفراد و المجتمعات بهذا الانكماش" بينما عرفها أنتوني غيدنز بأنها "مرحلة جديدة من مراحل بروز و تطور الحداثة، تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل و الخارج، و يتم فيها ربط المحلي و العالمي بروابط اقتصادية و ثقافية و إنسانية"⁶.

و لقد فرضت العولمة نفسها على الساحة الدولية، ثم انتقلت إلى الساحة العربية بآثارها العميقة على الدول النامية في المجالات المختلفة، فقد فرضت علينا تحديات يتحتم علينا أن نواجهها بسرعة و فعالية لكي نلحق بركب الدول المتقدمة، و من هنا نرى أن العولمة حقيقة واقعية، و أنها قد ولدت لتبقى، و لا يمكن لأي دولة أن تعيش بمعزل عنها، كما أنه ليس من الحكمة مواجهتها بمنطق الرفض الصريح، بل إن الحكمة تقتضي أن نعظم أكبر قدر من إيجابياتها، و أن نتجنب أكبر قدر من سلبياتها، فالتحدي الذي تواجهه البشرية هو كيفية إدارة العولمة و تحويلها إلى قوة إيجابية يستفيد منها كل سكان الأرض⁷.

و العولمة ظاهرة مركبة و أيديولوجية قديمة يسعى الغرب من خلالها للسيطرة على العالم و فرض ثقافته، فهي ليست ظاهرة اقتصادية أو سياسية أو تقنية أو معلوماتية فحسب، بل هي ظاهرة تاريخية، كما أنها ليست ظاهرة جديدة بل قديمة قدم التاريخ عندما كانت تنصدر حضارة ما كباقي الحضارات و تقود العالم⁸.

و فرق بين العولمة و عالمية الإسلام التي هي رسالة قيّمة و دعوة أخلاقية، و من أجواء العولمة تولدت مصطلحات نظام العالم الجديد، و القرية الإلكترونية، و اقتصاد السوق، و حرية التجارة و الاستثمار و الشركات المتعددة الجنسيات، و العرض و الطلب، و نهاية التاريخ و صراع الحضارات، و ما بعد الحداثة، و الهوية الثقافية و غير ذلك⁹.

03 – العولمة التربوية:

لا شك أن مرحلة العولمة التي يستهدفها العالم في الوقت الحاضر تحمل في طياتها آثاراً و انعكاسات متعدّدة الجوانب تنعكس على جميع الأصعدة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية، و قد نجد انعكاساتها تأخذ جانبين منهما ما هو قائم حالي و ما هو محتمل مستقبلي يرسم معالم الغد نتيجة إفرات ظاهرة العولمة، كما توصف نتائجها و إفراتها ما بين السلبية و الإيجابية¹⁰.

و تشكّل العولمة التربوية و الثقافية أخطر أنواع العولمة إذ يمكن اعتبارها عملية اغتصاب ثقافي تربوي للفرد و الأمة و المجتمع و قهر لهم جميعاً، و يتضح ذلك من التدخلات الخارجية بتغيير المناهج و عملية التعليم، و استخدام وسائل الدعاية و الإعلام و شبكات الاتصال الحديثة كالأقمار الصناعية و القنوات الفضائية و شاشات الحاسوب لتنفيذ ذلك حتى يمكن هدم المنظومة القيمية و اهتزاز النظم التربوية.. و يبيّن (الجميل) أن "التأثير سيكون كبيراً، و عليه لا بدّ من أن تحكّم العملية تربوياً، و لا بدّ من التشديد على التربية أي تربية الجيل القادم. فلا خوف من حدوث تشرذم لأن الجيل الذي يتربّى متماسكاً على أسس حضارية متينة لا يخيفنا مصيره كونه سيتحمل

المسؤولية من بعدنا، لكن إذا لم يكن هناك تطوير في المناهج التعليمية، كيف يتربى الأطفال في البيوت و كيف يتدربون في المدارس و كيف يتلقون العلم في الجامعات؟¹¹.

ثانيا: مخاطر ظاهرة العولمة على المدرسة الجزائرية:

لم تعد العولمة تحديا اقتصاديا أو سياسيا أو تقنيا فحسب، و لكنها تمثل تحديا للتربية و التعليم و الفكر، و عليه فإن من واجبات النظرية التربوية أن تلتفت باهتمام إلى آثار العولمة على تلك الجوانب الفكرية الانسانية، و الاستفادة من ايجابيات العولمة و تفادي سلبياتها تحقيقا للتنمية الشاملة و ترسيخا للهوية و إسهامها في الحضارة الإنسانية يتطلبان منح التربية و التعليم بمختلف مستوياتهما و أشكاهما مزيدا من العناية و البذل للارتقاء بهما كمًا و نوعا.

يمكن رصد عدة مؤشرات تدل على بداية حدوث تحولات عميقة بقطاع التعليم نتيجة اختراقه من طرف العولمة، و من جملة تلك المؤشرات ما يلي:

01 - توصيات المؤسسات المالية الدولية: وهي توصيات ترمي إلى خلق نوع من تحسين الأداء في مختلف القطاعات الإنتاجية و الاجتماعية، و منها قطاع التربية و التعليم، و يتمثل ذلك في ترشيد النفقات العمومية، و تنوع مصادر تمويل التعليم و عقلنة القطاع، و التحكم في مسار المعرفة و العلوم باعتبارها رأس مال أساسي في المنافسة و الصراع الدوليين.

02 - إدماج مضامين تربوية جديدة في المنهاج لإكساب المتدربين القيم و الاتجاهات و السلوكات الإيجابية نحو العولمة و منها التربية السكانية، و التربية البيئية، و التربية من أجل الديمقراطية و حقوق الإنسان، و أخيرا تربية السلام أو التربية من أجل السلام الدولي.

03 - محاولة ربط التربية و التعليم و التكوين بالأهداف التنموية في بعدها العالمي، و هكذا تم في مرحلة أولى توظيف عدة مفاهيم كتنمية الموارد البشرية، ثم التنمية البشرية، ثم في مرحلة لاحقة التنمية المستدامة.

04 - تبني استراتيجية التعليم المقاربة بالكفاءات، و محاولة تعميمها في صفوف المدرسين، رغم مقاومتهم لها. و هي محاولة لعقلنة العملية التعليمية التعلمية، على غرار ما يجري في الأنظمة التعليمية لدول أخرى كالولايات المتحدة و كندا، إلا أن الارتجال و انعدام تكوين وظيفي فعال للمدرسين و غياب البنية التحتية الضرورية في المؤسسات التعليمية المتمثلة في التكنولوجيا التربوية و العتاد البيداغوجي، جعل تطبيق تلك الاستراتيجية مشوبا بالكثير من اللبس و الخلط، و هو ما أفقد العملية التعليمية جوهرها الإبداعي و الخلاق¹².

05 - استقطاب مدارس البعثات الثقافية الأجنبية و مؤسسات التعليم الخاص لفئات لا بأس بها من أبناء النخبة و الميسورين، و هم الذين اقتنعوا بأن هذا النوع من التعليم هو الذي يمكن أن يؤهل أبناءهم للتكيف مع قيم العولمة و التعامل مع منتجاتها.

06 - التوسع التدريجي لنظام إعلامي تربوي ثقافي سمعي بصري يبت عبر الفضائيات و"الانترنت" و غيرها من الوسائل المتعددة الوسائط، و قد تزامن ذلك مع تراجع المدرسة و تقلص وظائفها و جاذبيتها، و أفقها المعرفي و التربوي، و من النتائج المترتبة عن ذلك إرباك المشروع التربوي للمدرسة برتمته، و لعل ذلك الذي أصاب الأسرة من قبل، نتيجة احتكار المدرسة لوظائفها و تقلص أدوارها، و هكذا نجد أن وسائل الاتصال التي تبشر بعولمة زاحفة، قد بدأت في سحب البساط من تحت أقدام المدرسة بدورها، مما يعني إخفاق أهم مؤسستين تربويتين للتكوين و التنشئة الاجتماعية (الأسرة و المدرسة)¹³.

و الخطورة في الأمر أنه كلما اتسمت اقتصاديات البلاد العربية بالضعف و الهشاشة، و اقترنت سياستها بالتنازل و التهاون في المصالح الوطنية، و تباطأت جهود التنمية، تضاعفت سلبيات العولمة عليها.

ثالثا: آليات مواجهة المدرسة لخطر العولمة:

تعد الدول العربية و الإسلامية من أكثر المناطق تعرضا للعولمة بكل جوانبها خاصة العولمة الثقافية، فباستبار هذه المنطقة تمثل مهد الحضارة العربية الإسلامية التي ما فتئت تشكل هدفا للقوى الأجنبية، خاصة الصليبية التي تحمل أحقادا تاريخية ضد العرب و المسلمين هادفة للسيطرة عليهم، و عليه سعت الدول الغربية مستعملة كافة الطرق من استعمار مباشر في القرنين الماضيين، إلى الهيمنة الاقتصادية و الضغوط السياسية من خلال عدة طرق، كان من أهمها و أخطرها زرع الكيان الإسرائيلي في قلب هذه الأمة و في إحدى المناطق الأكثر قداسة و الأهمية في قلوب العرب و المسلمين و هي فلسطين، لكن ما تجدر الإشارة إليه أن خطر أدوات العولمة و أبعادها تلك، المرتبطة بالجانب الإعلامي و الثقافي الذي تشكله الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة التي تريد أن تفرض على العالم ثقافة واحدة و إعلاما واحدا، مثلما فرضت نظاما اقتصاديا واحدا ، فقد تمكنت الثقافة الأمريكية الاستهلاكية التي تقدس المادة و الجسد و تقوم على التفاهة و الانحلال من جذب عقول الشباب و السير بهم إلى خدمة المشروع الأمريكي، القائم على السيطرة على الشعوب و احتقار ثقافتها، مستخدمة في ذلك وسائل الإعلام و المعلوماتية و شبكات الاتصال السريعة كالأترنت و غيرها، و التي فعلا أصبحت تستقطب اهتمام الشباب و تطلعات عقول غالبيتهم، مما انعكس سلبا على انخراطهم في خدمة مشروع أمتهم و أوطانهم و النهوض بحضاراتهم¹⁴.

و من أجل إعداد الإنسان لمواجهة تحديات العولمة و متطلبات العيش في القرن الحادي و العشرين فقد تم وضع خطة لمختلف المناهج لتنمية القيم و الاتجاهات الإيجابية اللازمة، تبناها تقرير اللجنة الدولية للتربية جاءت في النقاط التالية¹⁵:

- الوعي بالحقوق الإنسانية مع إحساس بالمسؤولية الاجتماعية.

- قيمة الإنصاف الاجتماعي و المشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرار.

- فهم الفروق الثقافية و التعددية و التسامح معها.

- روح الرعاية و العناية.

- روح المغامرة و القيام بمشروعات جديدة.

- الابتكار.

- الحساسية للمساواة بين الجنسين.

- تفتح العقل للتغيير.

- الإحساس بالالتزام نحو حماية البيئة و التنمية المستمرة.

إن النظام التعليمي الذي نستطيع أن نحافظ به على هويتنا و مكانتنا في عصر العولمة هو التعليم الذي يعمق الهوية و يغرس الانتماء و الولاء للأمة ثم الوطن، ذلك التعليم الذي يستطيع أن يخرج نخبا فكرية مستنيرة، تستطيع أن تزيل وهم العولمة، و تحمل لواء الممانعة نخبا تحمل فكريا مستنيرا مؤمنا و متمسكا بقيم الأمة الحضارية و ثوابتها، نخبا تستطيع أن تفتح على الفكر العالمي انفتاح المحاور لا انفتاح التابع المندمج، ولا الرفض المتشنج، ونظرا لأن العولمة تدعو إلى قيام ثقافة عالمية لها قيمتها و معاييرها المتمثلة في سيادة النموذج الحضاري الغربي فالأمر يتطلب من الدول العربية و الإسلامية إعادة النظر في إستراتيجيات التربية و التعليم، و بالرغم من جهود نظام التربية و التعليم منذ فجر الاستقلال في المحافظة على الشخصية الوطنية، إلا أنه كانت هناك عدة محاولات لمقاومة الضغوط المتتالية للعولمة،

خصوصاً منها ما يتعارض مع المرجعيات الثقافية للنظام، و تكوين الهوية الثقافية لأبناء الوطن. و تجلت تلك المقاومة في عدة إجراءات و إصلاحات منها:

01 - تعريب مناهج التعليم:

لقد تم في البداية توحيد التعليم و جزأته بالرغم من قلة الوسائل و الإمكانيات غداة الاستقلال أما سياسة التعريب فقد كانت بمثابة وسيلة إنقاذ الهوية و الدفاع عنها، بواسطة ربطها بالخصوصية التاريخية و المرجعية الثقافية، أمام محاولات التعريب الناجمة عن فرنسا التعليم. و رغم أن اللغة الفرنسية بدأت تتراجع لصالح الإنجليزية على الصعيد العالمي، فإن تعريب التعليم بالجزائر قد ساعد على حصول تراجع ملموس للثقافة الفرنكفونية، لكن دون أن يعني ذلك تحصيننا للذات ضد آثار الغزو الثقافي للعولمة، غير أن ذلك خلق هوة عميقة، بين فئتين مختلفتين، حسب اختلاف لغة المؤسسة التي نهلوا منها، و منه فإن هذا الانشطار من شأنه أن يعمل على إعادة إنتاج الثنائية المعروفة بالأصالة و المعاصرة، و معلوم أن ما تؤدي إليه من عدم التجانس الثقافي، يسهل عملية الاختراق الثقافي¹⁶، و بتعبير أدق فإن شكل الثقافة التي تعمل المدرسة على نشره، كثيراً ما يتسبب في إنتاج نماذج بشرية متناقضة مع أنماط التفكير المتداولة في المحيط الأساسي الواقعي¹⁷.

02 - كفاءة المعلم:

هناك خطورة في أن يعرض المعلمون أنفسهم كمربين حياديين، كمن ليس لهم أي توجه تربوي، فلا وجود لتربية حقيقية بدون توجه تربوي، فمعلم يدعي الحياد، هو معلم يمتنع عن خوض المهمة التربوية السياسية التوعوية، معلم كهذا يرفض أن يقنع طلابه بما يعتقد أنه عادل، معلم كهذا في نهاية الأمر يساعد على تكريس مبنى القوة القائم، و لذلك فوظيفة المربي أن يكون راديكالياً، أي أن يكف و يمتنع عن أن يكون لامبالياً؛ لأن تربية تدعي الحياد يعني تربية تنعزل عن الثقافة و الهوية و التجربة، و تتناول المعرفة و الفكر، و كأنهما مقطوعان و مفصولان عن مباني القوة و مسارات التاريخ، فالتربية فعل فكري و سياسي في حقل ثقافي اجتماعي، لا توجد فيه مساحة محايدة و آمنة¹⁸.

كما أن المعلم على الرغم من كل التطور الجاري في التكنولوجيا واستخدامها سيظل العامل الحاكم والمؤثر في مدى كفاءة العملية التعليمية والتربوية، و تُضح ذلك من التوجهات العاملة التي خصت المعلم بأدوار جديدة غير مألوفة في فكرنا التربوي، فهو باحث ميداني و مبادئ بالتجريب و مفكر و مبدع و رائد اجتماعي و هو أيضاً مسير و مرشد للتعليم¹⁹، و بما أنه يعد حلقة أساسية في عملية تطوير المنهج و تقويمه، فإنه مطالب بأن يخطط المناهج مع تلاميذه، كما أنه مطالب بأن يثير الاهتمام و التساؤلات في أذهانهم، و قد يكون ذلك عن طريق قصة أو صورة أو خبر أو غير ذلك من مصادر المعرفة، و بناء على ذلك يبدأ التلاميذ في التفكير يحددون من خلاله ما يحتاجون إلى دراسته، و يكون دور المعلم هنا هو التوجيه و إدارة الحوار للتوصل إلى قرارات جماعية.

لذا فإنه وجب على المعلم أن يقبل حقيقة كونه نموذجاً أخلاقياً يحنى به على مدار الساعة يومياً، و يجب أن تكون لديه القدرة على تبرير سلوكه و إيضاح القيم التي تدعّمه، سواء مع طلابه أم مع أولياء أمورهم أو مع المجتمع ككل، و أن يتذكر دائماً أن تربية فرد واحد قد تصنع فرقاً على مستوى المجتمع ككل، و أن النجاح في ذلك ليس سهلاً و لا يمكن أن يتم عفويّاً و من غير ضوابط، و الثقة عندئذ قاعدة أساسية في التعامل و الحوار تجعل كل شيء ممكناً و مقبولاً، فهي مسألة ضمير أن تعمل و تسلك، بل أن تفكر و تحلم و أن تتواصل، من هنا تتأتى قيمة كل فرد حيث إنه كيان قيمي في حدّ ذاته، منه تنبع و تنطلق القيم و به تطبق و ترسخ، كما أن لكل قرار

أخلاقي مبرراته استناداً إلى مبدأ أو دستور أو لائحة، و هنا تحدد الباحثة الأمريكية اليزابيث كامبل عناصر ستة يرتبط بها المعلم خلال عمله هي²⁰:

- 01 - ذاته التي بين جنبيه و التي تنطوي على شعوره بالتكامل و الاستقلالية و التميز في العلاقات مع الآخرين.
- 02 - الطلاب كأفراد و كجماعات يمثلون مراكز الاهتمام الأولى و محل المسؤولية الأساسية.
- 03 - غيرة من المعلمين كأفراد و كجماعات على العمل التربوي لكونه واجباً من واجبات الانتماء و الولاء للأمة.
- 04 - إدارة المدرسة متمثلة في مديرتها و إداريتها.
- 05 - الآباء و أولياء الأمور.
- 06 - المجتمع الخارجي.

و هذه العناصر تفرض على المعلم مهاماً و واجبات تتصارع في حد ذاتها و لا تتكامل في كل الأحوال، فقد يضطر إلى الانتصار لأحد الأطراف على حساب الآخر، و عدم الاتساق هذا قد يفرض نفسه على المعلم الذي يلتزم التزاماً صارماً بمبدأ محدد و لا يكون مرناً متفهماً يطوع القاعدة الأخلاقية من دون كسرهما.

إن الطريقة الجيدة تعتمد على تقدير المعلم للموقف التربوي و اختيار الطريقة المناسبة وفقاً لإمكانات المعلم لتطبيقها و ملاءمتها لمستوى المتعلمين الدراسي و الخبرات التي مروا بها و المادة الدراسية التي يقوم بتدريسها، كما ينبغي أن تكون الطريقة المستخدمة متمشية مع نتائج بحوث التربية و علم النفس و التي تؤكد إيجابية المتعلم، و يستطيع المعلم الجيد أن يستخدم أكثر من طريقة واحدة في الدرس الواحد²¹.

و بدلاً من أن يكون المعلم هو العامل الرئيسي في تحصيل المعرفة و الخبرة، فانه سيمارس أدواراً جديدة، إذ يغدو موجهاً، و مثيراً لدافعية التعلم، و مهيباً للنشاطات التي تنمي حاجات مختلفة لدى الطلاب، و بذلك يتحرر قليلاً من الروتين، و الملل، و مما يعني به الاهتمام بمصادر التعلم، و الإبداع في إنتاجها، بالتعاون مع الطلاب و استغلال خدمات البيئة²².

03- المنهج التربوي و التعليمي:

يعتبر المنهج التربوي بمثابة مخطط تربوي يتضمن عناصر مكونة الأهداف و محتوى و خبرات تعليمية و تدريس و تقويم مشتقة من أسس فلسفية واجتماعية و نفسية ومعرفية، مرتبطة بالمتعلم و مجتمعه و مطبقة في مواقف تعليمية داخل المدرسة و خارجها تحت إشرافها، بقصد الإسهام بتحقيق النمو المتكامل لشخصية المتعلم بجوانبها العقلية و الوجدانية و الجسمانية، و تقويم مدى تحقيق ذلك كله لدى المتعلم²³.

و بناء على التحولات المتسارعة التي يشهدها عالم اليوم، و آثارها المباشرة أو غير المباشرة على نظامنا التعليمي، يمكن القول بأن مشروع المدرسة الجزائرية الذي طالما علقت عليه أكبر الآمال، في صياغة الشخصية الوطنية، و تكوين النسيج الثقافي الوطني، قد عرف انتعاشاً واضحاً، غير أنه يحتاج إلى المزيد من الدعم المادي و المعنوي للمحافظة على الهوية الوطنية التي بدأت معالمها مع جمعية العلماء المسلمين في العهد الاستعماري.

غير أن أهم سمة تميز المدرسة الجزائرية المعاصرة هي فقدان المرجعيات التربوية و الثقافية الأساسية، و ظهور أزمة قيم حادة نتيجة لتفكك بنية الأسرة و تقلص وظائفها إلى أقصى حد؛ و من جهة أخرى نتيجة إخفاق ما عرف باسم الإصلاح التربوي، و يمثل هذان

المؤشران علامة دالة على الإخفاقات المتتالية التي منيت بها السياسة التعليمية في الجزائر خلال العقدين الأخيرين من الزمن. و واضح أن كل انحسار للمرجعية التربوية و الثقافية الوطنية، و كل تراخ في مؤسساتها إلا و يكون متزامنا مع توغل مخطط و منظم لقيم العولمة و مرجعياتها التربوية، في مجال صناعة الأذواق و تكوين الاتجاهات و القيم و السلوكات. إن إخفاق المؤسسات الوطنية لإنتاج الرموز و القيم هو مؤشر عن عجزها عن الاستمرار و عن المقاومة في ميدان يسود فيه بالدرجة الأولى منطق السوق التنافسي.

إن النهضة الحقيقية في المجتمع لا تتم بدون إعادة النظر في المناهج الدراسية من حيث المحتوى والهدف لأن التعليم هو السبيل الوحيد للتحكم في مسار التنمية ورسم خريطة المستقبل، ولقد أثبتت التجارب دائماً أن التقدم قرين العلم و المعرفة، و أن رفاهية الشعوب لا بد أن تعتمد على نظام تعليمي رشيد²⁴.

و يرى شحاتة أن متطلبات مستقبل التعليم في ظل العولمة كالتالي:

- الاهتمام باللغات بدءاً باللغة القومية (اللغة العربية) ثم اللغات الأجنبية، خاصة اللغة الإنجليزية تليها اللغات الأخرى.
 - تدريب المتعلمين على استخدام الحاسب الآلي و تعليم علوم المستقبل كالعلوم و الفيزياء و الرياضيات.
 - إيجاد مواد مشتركة بين الشعب الأدبية و العلمية و الرياضية و عدم الفصل بينها.
 - التركيز على تنمية شخصية المتعلم و تطوير قدراته على التفكير و الإبداع أكثر من تحصيل المعلومات.
 - التوازن بين التربية القومية و الانفتاح على العلم عند وضع المناهج للمواد المختلفة²⁵.
- و طرق التدريس كما يقول شحاتة " أنها جزء متكامل من موقف تعليمي : يشمل المتعلم وقدراته وحاجاته ، والأهداف التي ينشدها المعلم من المادة العلمية ، والأساليب التي تتبع في تنظيم المجال للتعلم²⁶.

و يجب أن يتكون كتاب المعلم من الموضوعات التي سيتم تدريسها وصفحاتها في المنهج ، الخطة الزمنية المقررة للخطة الدراسية السنوية ، والأهداف المراد تحقيقها والمبادئ والأساليب التربوية النفسية للمتعلم التي ينبغي مراعاتها ، المعارف المنهجية التي سيحصل عليها المتعلمين ، أنشطة التعلم والتعليم وطرق تنفيذها تفصيلاً ، وسائل التقويم المناسبة وطرق استخدامها²⁷.

04 - التفجير المعرفي:

إن التفجير المعرفي الذي يشهده العالم حالياً، تتضاءل معه رسالة مؤسسات التعليم النظامي بالمفهوم التقليدي، حيث لم تعد قادرة على تزويد الطالب بكل شيء معرفة، و قيم، و اتجاهات، و مهارات و لربما كان أقصى ما يمكنها تزويد الطالب بمفاتيح المعرفة و أساسيات العلم، و بما يلزم مستقبله الوظيفي من مهارات، و من خلال ما يلي²⁸:

- تفعيل دور الطالب في التعليم و جعله مشاركاً فاعلاً.
- جعل الطالب يعتمد على نفسه في استقاء المعرفة من مصادرها.
- توجيه الطالب للمهارات و أدوات التعلم.

كما أن ظهور التكنولوجيا الحديثة، سهل من عملية الانتقال و الاتصال، و التي كان لها تأثير في أهداف التربية و في مضامين المناهج الدراسية، فإذا كانت هذه الثورة المعرفية و التكنولوجية تؤثر في التربية بحيث تجعل مخططي المناهج الدراسية يأخذون في حسابهم ما استجد من المعرفة و الأدوات التقنية، فإن ذلك لا يتطلب بالضرورة تغيير مواد دراسية بأخرى، و لا تعويض مضامين تنمي الشخصية الوطنية و العقيدة الدينية و الصفات الأخلاقية و الخصائص الاجتماعية و الثقافية، بمضامين أخرى تتناول مواضيع خاصة بالعالم الغربي، و

الانفتاح على العالم المتقدم، و حشو المناهج بما استجد من التقنية، و العمل على تكوين فرد حيادي في كل المجالات الحياتية، و محاربة كل ما يمت بصلة للاعتزاز بالشخصية الفردية و الوطنية و الانتماء الثقافي و الحضاري²⁹.

• خاتمة:

مما سبق ذكره يتضح لنا أن التربية و المدرسة ساحتين من ساحات المواجهة الرمزية، و لذا فإنه يجب على صانعي السياسات التربوية و الفاعلين في المدارس، الإدراك أن المدرسة لم تعد ناقلة للمعلومة فحسب لأن الطلاب لم يعودوا في حاجة لمن يزودهم بالمعلومة، و إنما يحتاجون لمناخ يمكنهم من نقد منظومات المعرفة و مساءلتها، و لذلك فعلى المدرسة أن تعتني بدورها النقدي و التساؤلي و التقويضي، لما تمده من مصادر المعرفة المتعددة من معارف و معلومات مغلّفة بأغلفة الحقائق و الأفكار، ما يجعل من المدرسة مختبراً ثقافياً يحلل الحزم المعرفية و المعلوماتية في اطار الحفاظ على الثقافة الجماعية، و تقوية الحياة المجتمعية.

و من هنا فأن تأثير العولمة بشكله السلبي سوف يكون أكثر نفوذاً لدى المجتمعات المنفصلة عن الحداثة، أي تلك التي تحاول أن لا تؤسس تبعية اقتصادية و ثقافية تتمثل بالقدرة على التغيير كوعي إنساني مدرك بلا إرادة فرض من قوى سلطوية أكثر إمكانية و تطوراً، إذ ما تزال البنيات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ضعيفة، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى نهاية الاختلاف الثقافي، و من ثم الاندماج في بوتقة الآخر المستهلك و العابر ليس إلا ؛ لأن العولمة الرأسمالية لا تؤدي إلى إثارة الوعي و البنى التقليدية في الهوامش بقدر ما تؤدي إلى تقويضها دون أن تنشأ البنى الحديثة البديلة عنها.

لذلك وجب علينا إجراء دراسات تحليلية تقييمية للمناهج الحالية و برامج إعداد المعلمين من خلال :

- القيام بدراسات معمقة حول العولمة، خاصة و أنها لا زالت مشروعاً لم يكتمل و ما زالت الكتابات تتوالى لتلقي الضوء على عدد من الجوانب منها ما هو مؤيد لهذه الظاهرة، و منها ما هو ناقد لها في نفس الوقت.

- ينبغي التدقيق في إعداد المنهاج التربوي المقترح بمفهومه الشامل و لكل عناصره و أبعاده و أهدافه و محتواه و طريقة تدريسه و تقويمه.

- يتوجب النظر للعولمة بصورة شاملة و لمختلف مجالاتها فمن الخطأ أن يقتصر البحث على مجال الثقافة و التربية فقط متجاهلين المجالات الأخرى.

- ينبغي تشجيع البحث في ظاهرة العولمة في الجامعات بحيث تعكس التطورات الجارية في معرفة نقاط قوتها و ضعفها، سلبياتها و إيجابياتها

• قائمة المراجع:

01- المراجع باللغة العربية:

- إبراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، دار الفكر العربي، ط 07، القاهرة، 1995.
- أحمد حسين اللقاني و فارعة حسن محمد، التدريس الفعال، عالم الكتب للنشر، القاهرة، 2001.
- جودت أحمد سعادة و عبد الله محمد إبراهيم، المنهج الدراسي المعاصر، دار الفكر، ط 04، عمان، 2004.
- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ج 01، تر: عبد العزيز عبد الحميد و محمد حسن الخزوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1949.

- حسن حنفي و صادق جلال العظم، ما العولمة؟ (حوارات لقرن جديد)، دار الفكر المعاصر، ط 02، دمشق، 2000.

- حسن شحاتة، مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2004.

- ، المناهج الدراسية بين النظرية و التطبيق، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 2003.
- دايلور، جاك. التعليم ذلك الكنز الكامن، تر: جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998.
- سلطان بلغيث، دليل المربين في التعامل مع الناشئين، دار قرطبة، الجزائر، 2007.
- سيار كوكب الجميل، العولمة و المستقبل (استراتيجية تفكير من أجل العرب و المسلمين في القرن الحادي و العشرين)، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2000 .
- عاطف السيد، العولمة في ميزان الفكر، دراسة تحليلية، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 2000.
- فاخر عاقل، معالم التربية (دراسات في التربية العامة و التربية العربية)، دار العلم للملايين، ط 05، بيروت، 1983.
- محمد الطيب العلوي، التربية و الإدارة بالمدارس الأساسية، ج 01، دار البحث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1982.
- مجموعة من الباحثين، العولمة و تداعياتها على الوطن العربي، دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد 24، مركز بيروت، 2003.
- المكّي المروني، البيداغوجيا المعاصرة و قضايا التعليم النظامي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1993.
- مرسي محمد عبد الحليم، المعلم (المناهج و طرق التدريس)، الرياض، دار الإبداع الثقافي، ط 02، 1415هـ.
- محمد زياد حمدان، تخطيط المنهج : الكتاب المدرسي من تقدير الحاجات و التطوير إلى تقييم الجدوى، دار التربية الحديثة، عمان 1998.
- محمود مساد و آخرون، المدرسة الأردنية و تحديات القرن الحادي و العشرين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان، 1999.
- يوسف قطامي و آخر، نماذج التدريس الصفي، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان ، ط 02، 1998.
- 02- المجالات:**
- عبد الله الخياري، التعليم و تحديات العولمة، مجلة فكر و نقد، عدد 12، الرباط، 1998.
- علي عوينات، العولمة، الهوية و المناهج الدراسية و بناء الإنسان، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 27 فيفري 2011.
- علي سموك، المشروع التربوي الجزائري بين معوقات الأزمة و واقع العولمة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005.
- شاكر عبد مرزوك، العولمة و المناهج الدراسية، مجلة الفتح للبحوث التربوية و النفسية، جامعة ديالي، بغداد، العدد 33، 2008.
- غربي محمد، تحديات العولمة و أثرها على العالم العربي، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد السادس، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2009.
- محمد عابد الجابري، العولمة و الهوية الثقافية (عشر أطروحات)، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

03- المراجع باللغة الأجنبية:

Campbell, E.; *Let Right Be Done: Trying to Put Ethical Standards into Practice*, -
Journal of Educational Policy, Vol 16, No 05, 2001. PP.395-411

الهوامش:

- 1 - إبراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، دار الفكر العربي، ط 07، القاهرة، 1995، ص 73.
- 2 - سلطان بلغيث، دليل المربين في التعامل مع الناشئين، دار قرطبة، الجزائر، 2007، ص 101.
- 3 - فاخر عاقل، معالم التربية (دراسات في التربية العامة و التربية العربية)، دار العلم للملايين، ط 05، بيروت، 1983، ص 82.
- 4 - محمد الطيب العلوي، التربية والإدارة بالمدارس الأساسية، ج 01، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1982، ص 139.
- 5 - جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ج 01، تر: عبد العزيز عبد الحميد و محمد حسن الخزوني، مكتبة النهضة المصرية، 1949، ص 34.
- 6 - مجموعة من الباحثين، العولمة و تداعياتها على الوطن العربي، دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد 24، مركز بيروت، 2003، ص 12.
- 7 - عاطف السيد، العولمة في ميزان الفكر، دراسة تحليلية، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 2000.
- 8 - حسن حنفي و صادق جلال العظم، ما العولمة؟ (حوارات لقرن جديد)، دار الفكر المعاصر، ط 02، دمشق، 2000، ص 17.
- 9 - حسن شحاتة، مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2004، ص 191.
- 10 - عبد الله الخياري، التعليم و تحديات العولمة، مجلة فكر و نقد، عدد 12، الرباط، 1998، ص
- 11 - سيار كوكب الجميل، العولمة و المستقبل (استراتيجية تفكير من أجل العرب و المسلمين في القرن الحادي و العشرين)، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2000، ص
- 12 - المكّي المروني، البيداغوجيا المعاصرة و قضايا التعليم النظامي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1993، ص 130.
- 13 - عبد الله الخياري، التعليم و تحديات العولمة، المجلة الإلكترونية أنفاس من أجل الثقافة و الإنسان، بتاريخ 01 أبريل 2007.
- 14 - غربي محمد، تحديات العولمة و أثرها على العالم العربي، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد السادس، 2009، ص 17 - 40.
- 15 - دايور، جاك. التعليم ذلك الكنز الكامن، تعريب جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998، ص
- 16 - محمد عابد الجابري، العولمة و الهوية الثقافية (عشر أطروحات)، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 298.
- 17 - علي سموك، المشروع التربوي الجزائري بين معوقات الأزمة و واقع العولمة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005، ص 123.
- 18 - شاكر عبد مرزوك، العولمة و المناهج الدراسية، مجلة الفتح للبحوث التربوية و النفسية، جامعة ديالي، بغداد، العدد 33، 2008،
- 19 - أحمد حسين اللقاني و فارعة حسن محمد، التدريس الفعال، عالم الكتب للنشر، القاهرة، 2001، ص 250.
- 20 - Campbell, E.; Let Right Be Done: Trying to Put Ethical Standards into Practice, Journal of Educational Policy, Vol 16, No 05, 2001. PP.395-411.
- 21 - مرسي محمد عبد الحلیم، المعلم (المناهج و طرق التدريس)، الرياض، دار الإبداع الثقافي، ط 02، 1415هـ.
- 22 - يوسف قطامي و آخر، نماذج التدريس الصفي، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، ط 02، 1998.

- 23 - جودت أحمد سعادة و عبد الله محمد إبراهيم، المنهج الدراسي المعاصر، دار الفكر، ط 04، عمان، 2004، ص 28.
- 24 - حسن شحاتة، المناهج الدراسية بين النظرية و التطبيق، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 2003، ص 23.
- 25 - حسن شحاتة، ص 23 .
- 26 - نفسه، ص 96.
- 27 - محمد زياد حمدان، تخطيط المنهج : الكتاب المدرسي من تقدير الحاجات و التطوير إلى تقييم الجدوى، دار التربية الحديثة، عمان 1998، ص 194.
- 28- محمود مساد و آخرون، المدرسة الأردنية و تحديات القرن الحادي و العشرين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان، 1999، ص 104.
- 29 - علي عوينات، العولمة، الهوية و المناهج الدراسية و بناء الإنسان، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 27 فيفري 2011، ص 145.